خصائص الدعاء في سورة الأنبياء

إعداد

الدكتور/ عبد الصمد إسحاق حامد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم المساعد

قسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية محافظة المهرة – جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا – جمهورية اليمن

مستخلص البحث:

من نعم الله تعالى على هذه الأمة أن جعلها وارثة لتجارب وعلوم ومعارف الأنبياء السابقين؛ في العقيدة والعبادة والدعوة والدعاء والصبر وغيره، مما جعلها أمة قوية فتية عصية صابرة على البلاء متجددة الآمال عظيمة الرجاء. وقد قدمت لنا سورة الأنبياء عبر صفحاتها المشرقة وآياتها البينة أروع صور المناجاة في دعاء الأنبياء ووقوفهم بين يدي الله تعالى؛ يسألونه حاجاتهم، فاستجاب الله تعالى دعاءهم، وقضى الله تعالى لكل منهم حاجته، عاجلاً ليس آجلا، وأثنى عليهم لحسن شمائلهم، ومن أعظمها المبادرة في فعل الخيرات، وعليه فإن فعل الخير من أقرب طرق إجابة الدعاء، وهو صورة من صور الأخذ بالأسباب، وبالجمع بين الأخذ بالأسباب والدعاء يتحقق التوكل، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

وفي هذا المنهج الرباني، الذي استعرضته سورة الأنبياء، دعوة إلى الإقتداء بأنبياء الله تعالى، وبإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم، في عبادتهم وتبتلهم لله تعالى، وفي غيرتهم على دين الله تعالى وعملهم الدءوب على نشره وتبليغه.

المقدمة:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي، السراج المنير البشير النذير، الهادي إلى صراط الله المستقيم صلى الله عليه وعلى آله النجباء وأصحابه الأوفياء والتابعين الأصفياء والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

إن حاجات الإنسان متعددة ومشكلاته متجددة، تتجاذبه الأهواء، وتصادمه الصعوبات وتناوشه سهام العداوة من النفس والإنس والجن، هذا في شأن الأفراد. أما الأمة والجماعات ليست بأحسن حال، لأن الجهل يموج، والفقر ينتشر، والفرقة تظهر، والأعداء يترنحون في بحار الأمة، ويتسكعون في شواطئها، يحملون الدمار، ويبطنون الحقد، وليس من سبيل للخروج من هذا المعترك المظلم إلا بالدعاء، لأن الدعاء مفتاح كل خير مغلاق كل شر.

ليس في سورة الأنبياء دعاء صريح بهلاك الكفار، وإنما فيها التأكيد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسله الله تعالى رحمةً للعالمين، ومن هنا يظهر التناسب بين آيات السورة، والانسجام والتناسق العجيب في المعنى والمنهج والهدف، فكل نبي رحمة لقومه يحظى بها من آمن منهم ومحمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (١٠٧) الأنبياء.

الدعاء في سورة الأنبياء فيه طابع الخصوصية، إذ أن مطلب كل نبي في السورة لحاجة خاصة به، ولما كانوا هم أعرف الخلق بالله فقد اشتملت السورة على جوامع الدعاء ولطائف الأنس والمناجاة، وفي ذلك تربية للمؤمن، لينهل من هذه الأدعية النبوية ما يناسب حاجته.

إن من نعم الله تعالى على هذه الأمة، أن جعلها وارثة لتجارب وعلوم ومعارف الأنبياء السابقين في التوحيد والدعوة والدعاء والصبر وغيره، وقد أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهم قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ} الأنعام (٩٠)، ومن أعظم الهدي الدعاء ،لأن الدعاء عبادة، والعبادة هي الغاية من خلقهم. قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} الذاريات (٥٦).

حدود البحث:-

١- تعريف بسورة الأنبياء وبيان فضلها وبعض ما اشتملت عليه السورة.

٢- دعاء الأنبياء الوارد في السورة وهم: إبراهيم ، وأيوب، ويونس، وزكريا عليهم السلام.

٣- غضضت الطرف عن تناول القصص، وحصرت اهتمامي بالدعاء في هذه السورة.

٤- ركزت هذه الدراسة على الدعاء الوارد في سورة الأنبياء، ، للفت النظر إلى ما فيها من أوجه الدعاء، مع العلم بأن أوجها أخرى من الدعاء قد وردت في غيرها من سور القرآن الكريم، ما يمكن أن يشكل دراسات مماثلة تثري هذا الموضوع الهام في حياة العباد.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد و خمسة مباحث وخاتمة.

التمهيد:

الخصائص في اللغة: جمع خصيصة وهي التفرد بالشيء والتميز به. جاء في لسان العرب: خصّه بالشيء يخُصّه خَصّاً وخُصوصاً وخَصُوصِيّةً وخُصُوصِيّةً والفتح أَفصح وخِصِّيصَى وخصّصَه واخْتصّه أَفْرَدَه به دون غيره ويقال اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ له إِذا انفرد [١].

الخُصُوصُ: التَّفرُدُ بِبَعْضِ الشَّيْءِ مِمَّا لا تُشَارِكُهُ فِيهِ الجُمْلَةُ. وخَصّهُ بالوُدِّ كَذلِكَ إِذا فَضَّلَه دُونَ غَيْرِه[٢].

وبناءً على المعنى اللغوي، فإن الدعاء في اللغة معناه الابتهال.

جاء في المصباح المنير دَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً ابْتَهَلْتُ إلَيْهِ بِالسُّؤَالِ وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ الْخَيْرِ[٣].

ودَعَوْتُ فلاناً، أي صِحْتُ به واستَدْعَيْتُهُ، ودَعَوْتُ الله له وعليه دُعاءً. والدَعْوَةُ المَرَّةُ الواحدة. والدُعاءُ: واحد الأَدْعِيَةِ، وأصله دُعاوٌ [٤].

أما معنى الدعاء في الاصطلاح فإن ما جاءت به السنة يغني عما سواه، فقد جاء عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[٥].

وجاء في فتح الباري في معنى الحديث: أَنَّ الدُّعَاء مِنْ أَعْظَم الْعِبَادَة فَهُوَ كَالْحَدِيثِ الْآخَر "الْحَجّ عَرَفَة" أَيْ مُعْظَم الْحَجّ وَرُكْنه الْأَكْبَر[٦].

وليس المقصود من الدعاء الإعلام، بل إظهار العبودية والذلة والانكسار، والرجوع إلي الله تعالى بالكلية[٧].

تعريف بسورة الأنبياء:

سورة الأنبياء حسب ترتيبها في المصحف؛ الواحدة والعشرون من بين السور، وآياتها اثنتا عشرة ومائة، وهي في الجزء السابع عشر من أجزاء القرآن الكريم، وهي مكية النزول.

وسميت بسورة الأنبياء لأن الله تعالى ذكر فيها جملة من الأنبياء، هم؛ إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ولوط، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وذو الكفل، وذو النون، وزكريا، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وجاء في خاتمة السورة أن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

فضل سورة الأنبياء:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفُ، وَمَرْيَمُ، وَطه، وَالْأَنْبِيَاءُ، هُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي)[٨]. أرادَ بالعِتَاق الأوَل السُّوَرَ التي أُنْزِلت أوّلاً بمكة، وأنها من أوّل ما تَعلَّمه من القرآن[٩].

ومعنى قوله وهن من تلادي: أي من أوّل ما أخَذْته وتعلَّمتُه بمكة. والتَّالد: المال القديم الذي وُلِدَ عندك وهو نَقِيض الطَّارف[١٠].

هذه السورة وأخواتها محل اعتزاز هذا الصحابي الجليل، كيف لا وهن مصابيح الهداية،التي أضاءت قلبه فتفتق إيمانا وعلماً وهدىً.

بعض مما اشتملت عليه السورة:-

- بدأت سورة الأنبياء بداية شديدة في التحذير من مرض الغفلة وما يترتب عليها من اللعب ولهو القلوب. قال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣)} (١-٣) الأنبياء. ثلاث آيات متتالية تحذر من هذا المرض الخطير لأن من أعراضه الإعراض عن الحق، والانصراف نحو اللعب واللهو.
- تدور سورة الأنبياء حول معنى القدوة، وتركز على ناحيتين مضيئتين في حياة كل نبي: طاعته وعبادته وخشيته لله تعالى، ثم دعوته وإصلاحه في قومه،فهي بذلك تقدم النموذج الأمثل في حسن التعامل مع الله وفي حسن التعامل مع الناس، أي في العبادة والدعوة إلى الله.
- دعاء الأنبياء وخشوعهم وخضوعهم والانسجام والتناسق والتناسب بين الألفاظ والأحوال والاستجابة يؤكد وحدة رسالتهم وتكامل دعواتهم. قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} (٩٢) الأنبياء، فأمة الأنبياء أمة واحدة، وكل نبي له دور في بناء الدين، ليأتي خاتم الأنبياء والمرسلين ويكمل بناء الدين،وفي بيان هذا المعنى جاء الحديث النبوي الشريف: (مثلي ومثل الأنبياء، كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء)[١١].
- بينت السورة أن كل نبي بعث إلى قومه خاصة، مؤكدة عمومية رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (١٠٧) الأنبياء، أي للناس كافة، لا بل لعوالم أخرى كالجن.

ولأن السورة بدأت بخطورة مرض الغفلة، كانت آياتها في الختام شديدة، تهز القلوب لتوقظها من غفلتها. قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} (١٠٤) الأنبياء.

وفي هذا المنهج الرباني، الذي استعرضته سورة الأنبياء، دعوة إلى الإقتداء بأنبياء الله تعالى، وبإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم، في عبادتهم وتبتلهم لله تعالى، وفي غيرتهم على دين الله تعالى وعملهم الدءوب على نشره وتبليغه.

المبحث الأول:

دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)}.

جاء في تفسير القرآن العظيم أنه عرض له جبريل وهو في الهواء، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا [وأما من الله فبلى][١٢].

وجاء في الجامع لأحكام القرآن: ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع، فاستقبله جبريل، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال: "أما إليك فلا "، فقال جبريل: فاسأل ربك، فقال: "حسبي من سؤالي علمه بحالي"[١٣].

قوله: (حسبي من سؤالي علمه بحالي)، قال الألباني رحمه الله تعالى: (لا أصل له)؛ أورده بعضهم من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو من الإسرائيليات ولا أصل له في المرفوع[١٤].

أقول: قول إبراهيم عليه السلام: (حسبي من سؤالي علمه بحالي)، القول فيه وإن هدم مبناه فلا يهدم معناه، لأن المعنى في نظري صحيح لما فيه من استحضار للمعية ومطلق الثقة في طلاقة القدرة ومن كان الله معه فلا غالب له، وهذا عين السؤال بل أبلغه، وقد شهدت آيات القرآن الكريم بسؤال إبراهيم في مواطن كثيرة، وفي السيرة النبوية المطهرة شواهد لهذا الأثر.

روى الشيخان عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ عن أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل عن الهجرة، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتْ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}[١٥].
وعن أَنَسٌ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ، فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ: مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا[١٦]. جاء في فتح الباري: وَمَعْنَى ثَالِثهمَا: نَاصِرهمَا وَمُعِينهمَا، وَإِلَّا فَاَللَّه ثَالِث كُلّ اِثْنَيْنِ بِعِلْمِهِ، وَفِي الْحَدِيث مَنْقَبَة ظَاهِرَة لِأَبِي بَكْر[١٧].

وَأَتَى الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْجَبَل الَّذِي فِيهِ الْغَار الَّذِي فِيهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى طَلَعُوا فَوْقه، وَسَمِعَ أَبُو بَكْر أَصْوَاتهمْ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْهَمّ وَالْخَوْف، فَعِنْد ذَلِكَ يَقُول لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَا تَحْزَن إِنَّ اللَّه مَعَنَا} وَدَعَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ السَّكِينَة، وَفِي ذَلِكَ يَقُول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ (إِذْ يَقُول لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَن إِنَّ اللَّه مَعَنَا) الْآيَة وَلِذَلِكَ أَجَابَهُ بِقَوْلِهِ: {لَا تَحْزَن}[١٨].

قوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا حكاه لنا القرآن، قال تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)} سورة التوبة (٤٠).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما ظنك باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا) جاءت به السنة المطهرة، و ليس في القولين صريح دعاء، ولكن فيهما الثقة الكاملة في معية الله تعالى، وهذا شأن الأنبياء عند تعطل الأسباب، ونفاد الحيل كما جاء في القرآن عن نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(٦١) قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ(٦٢)} سورة الشعراء (٦١-٦٢).

وقد جاءت السنة بالخبر اليقين عن ما سكت عنه القرآن من دعاء إبراهيم عليه السلام حينما ألقي في النار، ففي الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: {حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[١٩].

جاء في فتح الباري: جَمَعُوا لِإِبْرَاهِيم الْحَطَب، حَتَّى أَنَّ الْمَرْأَة لَتَمْرَض فَتَقُول: لَئِنْ عَافَانِي اللَّه لَأَجْمَعَن لِإِبْرَاهِيم حَطَبًا. فَلَمَّا جَمَعُوا لَهُ وَأَكْثَرُوا مِنْ الْحَطَب وَأَرَادُوا إِحْرَاقه قَالَتْ السَّمَاء وَالْأَرْض وَالْجِبَال وَالْمَلَائِكَة: رَبَّنَا خَلِيلك إِبْرَاهِيم يُحْرَق؟ قَالَ: أَنَا أَعْلَم بِهِ، وَإِنْ دَعَاكُمْ فَأَغِيثُوهُ. فَقَالَ إِبْرَاهِيم: اللَّهُمَّ أَنْتَ الْوَاحِد فِي السَّمَاء، وَأَنَا الْوَاحِد فِي الْأَرْض لَيْسَ أَحَد فِي الْأَرْض يَعْبُدك غَيْرِي، حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"[٢٠].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ{حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} سورة آل عمران (١٧٣)[٢١].

عظم شأن هذه الكلمة، أنها قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم في الشدائد[٢٢].

وعن ابن عباس: إنما نجا بقوله: (حسبي الله ونعم الوكيل)[٢٣].

قوله: (حسبنا الله) يعني: كافينا الله. (ونعم الوكيل) يعني: ونعم الوكيل ربنا، هذه كلمة عظيمة قالها إبراهيم عليه السلام في الكرب، وقالها أيضا النبي عليه الصلاة والسلام[٢٤]. فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين: (يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال بعض العلماء: جعل الله فيها بردا يرفع حرها، وحرا يرفع بردها، فصارت سلاما عليه[٢٥]. فلم تحرق منه غير وثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله: «وسلاما» سلم من الموت ببردها[٢٦].

جاء في ظلال القرآن: المشهود المعروف أن النار تحرق الأجسام الحية؟ فالذي قال للنار: كوني حارقة، هو الذي قال لها: كوني برداً وسلاماً، وهي الكلمة الواحدة التي تنشئ مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول. مألوفاً للبشر أو غير مألوف. إن الذين يقيسون أعمال الله سبحانه إلى أعمال البشر هم الذين يسألون: كيف كان هذا؟ وكيف أمكن أن يكون؟ فأما الذين يدركون اختلاف الطبيعتين، واختلاف الأداتين، فإنهم لا يسألون أصلاً، ولا يحاولون أن يخلقوا تعليلاً علمياً أو غير علمي، فالمسألة ليست في هذا الميدان أصلاً. ليست في ميدان التعليل والتحليل بموازين البشر ومقاييس البشر، وكل منهج في تصور مثل هذه المعجزات غير منهج الإحالة إلى القدرة المطلقة هو منهج فاسد من أساسه، لأن أعمال الله غير خاضعة لمقاييس البشر وعلمهم القليل المحدود. إن علينا فقط أن نؤمن بأن هذا قد كان، لأن صانعه يملك أن يكون، أما كيف صنع بالنار فإذا هي برد وسلام؟ وكيف صنع بإبراهيم فلا تحرقه النار، فذلك ما سكت عنه النص القرآني لأنه لا سبيل إلى إدراكه بعقل البشر المحدود. وليس لنا سوى النص القرآني من دليل. وما كان تحويل النار برداً وسلاماً على إبراهيم إلا مثلاً تقع نظائره في صور شتى، ولكنها قد لا تهز المشاعر كما يهزها هذا المثل السافر الجاهر، فكم من ضيقات وكربات تحيط بالأشخاص والجماعات من شأنها أن تكون القاصمة القاضية، وإن هي إلا لفتة صغيرة، فإذا هي تحيي ولا تميت، وتنعش ولا تخمد، وتعود بالخير وهي الشر المستطير. إن {يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم} لتتكرر في حياة الأشخاص والجماعات والأمم؛ وفي حياة الأفكار والعقائد والدعوات، وإن هي إلا رمز للكلمة التي تبطل كل قول، وتحبط كل كيد، لأنها الكلمة العليا التي لا ترد![٢٧].

إن نجاة نبي الله إبراهيم عليه السلام من النار ثمرة من ثمرات هذا الدعاء العظيم؛ (حسبي الله ونعم الوكيل)، و هو من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند الشدائد، بل إن هذا الدعاء أمره به الرحمن، كما نص بذلك القرآن، قال تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} سورة التوبة (١٢٩).

وهذا يبين عظم هذه الكلمة وهي قول المؤمن: (حسبنا الله ونعم الوكيل)، فإذا حقق العبد التوكل على الله، وحققه في القلب فقد حقق هذا النوع من توحيد التوكل في النفس، فإن العبد إذا أعظم رجاءه في الله، وأكمل توكله على الله، فإنه وإن كادته السماوات والأرض ومن فيهن فإن الله سيجعل له من أمره يسرا، وسيجعل له من بينها مخرجا[٢٨].

جاء في كتاب فيض القدير؛ أن (حسبي الله ونعم الوكيل) أي النطق بهذا اللفظ مع اعتقاد معناه بالقلب والإخلاص وقوة الرجاء (أمان لكل خائف)، أليس الله بكاف عبده؟ ومن يتوكل على الله فهو حسبه، فمتى اعتقد العبد أن لا فاعل إلا الله، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وفقر وغنى هو المنفرد به، اكتفى به عن كل موجود، ولم ينظر إلى غيره، بل كان منه خوفه ورجاؤه، وبه ثقته وعليه اتكاله، وكفى بالله وكيلا[٢٩].

هذا الدعاء العظيم ينبغي أن تلهج به ألسنة الأمة أفراداً وجماعات وقادة، فهو السبيل للخروج من كل الأزمات التي تعيشها خاصة كانت أم عامة، وذلك بالخروج من حالة الانهزامية في موجهة الأعداء، متسلحين بهذا

الدعاء، آخذين بالأسباب من أساليب ووسائل الإعداد المعنوي والمادي، والحض على تحريك الأمة للانفكاك من عقال الهوى، وقيود الهوان، إلى عمل جاد لبناء نهضة حقيقية في جميع ميادين الحياة، علماً بأن الأمة تملك من المقومات مالا تملكها غيرها من الأمم، وقبل ذلك وفوق ذلك الموجهات النورانية النابعة من الكتاب العزيز والسنة النبوية الطاهرة.

وعَنْ مَالِك بن أنس، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ[٣٠].

فلو أن قادة الأمة يذكرون الله بهذا الدعاء في الملمات، والمشكلات المعضلات بصدق وإخلاص، مع حسن الظن بالله تعالى، وإعداد العدة اللازمة، لكتب الله تعالى النصر للأمة بإذنه، ولتاه الأعداء في شتات الأرض، ولصاروا أثراً بعد عين، ولكن نحن في عصر نجد أن كثيراً من قادة الأمة ولا أقول جلهم يجهلون قصار السور ناهيك عن آيات الاستدلال ونفائس الدعاء.

أقول ذلك ليس من قبيل النصح أو التوجيه، فللنصح رجاله وللتوجيه أهله، ولكني ألفت نظر طلاب العلم والباحثين والحادبين على مصلحة الأمة إلى افتقار الخطاب السياسي والاقتصادي وغيره إلى نور هدي القرآن والسنة، وهو الموجه الحقيقي لحياة الأمة، وكأننا ننطلق من فراغ، في حين أن كثيراً من الأمم حولنا يتمسكون ويديرون شئون حياتهم بموجهات معتقداتهم الباطلة وعقائدهم المنحرفة.

من الخصائص التي اشتمل عليها هذا الدعاء:

١) إن نبي الله إبراهيم عليه السلام اكتفى بالله تعالى عن كل ما سواه مع تمام التفويض و الرضا بقدر الله.

٢) إن نبي الله إبراهيم لم ينتقم لنفسه، و لم يتشف من قومه بالدعاء عليهم بالهلاك، مع أنهم كانوا يستحقون ذلك لعظيم مكرهم به، و شدة ظلمهم له، لأنه كان رحيماً لين القلب.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ اسْتَبْقِهِمْ وَاسْتَأْنِ بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ قَالَ وَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرَجُوكَ وَكَذَّبُوكَ قَرِّبْهُمْ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ قَالَ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ انْظُرْ وَادِيًا كَثِيرَ الْحَطَبِ فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ ثُمَّ أَضْرِمْ عَلَيْهِمْ نَارًا قَالَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ قَطَعْتَ رَحِمَكَ قَالَ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا قَالَ فَقَالَ نَاسٌ يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ وَقَالَ نَاسٌ يَأْخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ وَقَالَ نَاسٌ يَأْخُذُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ قَالَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنْ اللَّبَنِ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنْ الْحِجَارَةِ وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، قَالَ: {مَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى، قَالَ: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ، قَالَ: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسَى، قَالَ: رَبِّ {اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}، أَنْتُمْ عَالَةٌ فَلَا يَنْفَلِتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبَةِ عُنُقٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا سُهَيْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الْإِسْلَامَ قَالَ فَسَكَتَ قَالَ فَمَا رَأَيْتُنِي فِي يَوْمٍ أَخْوَفَ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى قَالَ إِلَّا سُهَيْلُ ابْنُ بَيْضَاءَ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِلَى قَوْلِهِ لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[٣١].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في إبراهيم: "رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني"، الآية. وقول عيسى عليه السلام: "إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم

فإنك أنت العزيز الحكيم" فرفع يديه وقال: اللهم أمتي وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم فسله ما يبكيه؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الله، فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك"[٣٢].

هَذَا الْحَدِيث مُشْتَمِل عَلَى أَنْوَاع مِنْ الْفَوَائِد مِنْهَا: بَيَان كَمَال شَفَقَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّته وَاعْتِنَائِهِ بِمَصَالِحِهِمْ، وَاهْتِمَامه بِأَمْرِهِمْ، وَمِنْهَا: اِسْتِحْبَاب رَفْع الْيَدَيْنِ فِي الدُّعَاء، وَمِنْهَا: الْبِشَارَة الْعَظِيمَة لِهَذِهِ الْأُمَّة - زَادَهَا اللَّه تَعَالَى شَرَفًا - بِمَا وَعَدَهَا اللَّه تَعَالَى بِقَوْلِهِ: سَنُرْضِيك فِي أُمَّتك وَلَا نَسُوءك وَهَذَا مِنْ أَرْجَى الْأَحَادِيث لِهَذِهِ الْأُمَّة أَوْ أَرْجَاهَا، وَمِنْهَا: بَيَان عِظَم مَنْزِلَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْد اللَّه تَعَالَى وَعَظِيم لُطْفه سُبْحَانه بِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْحِكْمَة فِي إِرْسَال جِبْرِيل لِسُؤَالِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِظْهَار شَرَف النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ بِالْمَحِلِّ الْأَعْلَى فَيُسْتَرْضَى وَيُكْرَم بِمَا يُرْضِيه وَاَللَّه أَعْلَم[٣٣].

فائدة:

١) الأمر بقتل الوزغ؛ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام[٣٤]. وعَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ، وَسَمَّاهُ فُوَيْسِقًا[٣٥]. وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ سَائِبَةَ مَوْلَاةٍ لِلْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ، فَرَأَتْ فِي بَيْتِهَا رُمْحًا مَوْضُوعًا فَقَالَتْ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَصْنَعِينَ بِهَذَا الرُّمْحِ؟ قَالَتْ: نَقْتُلُ بِهِ الْأَوْزَاغَ، فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ لَمْ تَكُنْ دَابَّةٌ إِلَّا تُطْفِئُ النَّارَ عَنْهُ، غَيْرُ الْوَزَغِ فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفُخُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ بِقَتْلِهِ[٣٦].

٢) النقش على الخاتم؛ وكان نقش خاتم الزهري " محمد يسأل الله العافية"، وكان نقش خاتم مالك "حسبي الله ونعم الوكيل"[٣٧].

المبحث الثاني:

دعاء نبي الله أيوب عليه السلام:

قال تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤)} سورة الأنبياء(٨٣-٨٤).

من خصائص هذا الدعاء:

١- **الشكوى** الى الله تعالى وحده وذلك من قوله: (أني مسني الضر). قال العلماء: و لم يكن قوله " مسني الضر " جزعا، لان الله تعالى قال: " إنا وجدناه صابرا " [ص: ٤٤] بل كان ذلك دعاء منه، والجزع في الشكوى إلى الخلق لا إلى الله تعالى، والدعاء لا ينافي الرضا[٣٨].

أقول والشكوى الى الله تعالى هي من ألطف الدعاء لأنها سلوى الأنبياء والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم على لسان نبي الله يعقوب عليه السلام. قال تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} سورة يوسف(٨٦). وكما ورد أيضاً في كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد عليه أذى المشركين عند زيارته للطائف قال: (اللهم إليك أشكوا ضعف قوتي وقلت حيلتي، وهواني علي الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلي من تكلني؟ إلي بعيد يتجهمني؟ أم إلي عدوٍ ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضبٌ فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك)[٣٩].

٢- **الأدب** مع الله تعالى في قوله: (أني مسني الضر) وقوله في موضع أخر: (أني مسني الشيطان بنصب وعذاب)، حيث أنه لم ينسب الشر الى الله تعالى علماً بأن الأفعال كلها خيرها وشرها.خالقها هو الله لا شريك له في خلقه، ولا في خلق شئ غيرها، ولكن الشر لا ينسب إليه ذكرا، وإن كان موجودا منه خلقا، أدبا أدبنا به، وتعلمناه من الوحي ومنه قول إبراهيم عليه السلام : " وإذا مرضت فهو يشفين " [الشعراء: ٨٠] وقول الفتى لموسى عليه السلام: " وما أنسانيه إلا الشيطان " [الكهف: ٦٣]. وبمثل هذا الأدب النبوي الرفيع كان دعاءه صلى الله عليه وسلم.

جاء في الصحيح عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ [٤٠]. قَوْله: (وَالْخَيْر كُلّه فِي يَدَيْك وَالشَّرّ لَيْسَ إِلَيْك)؛ قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْره: فِيهِ الْإِرْشَاد إِلَى الْأَدَب فِي الثَّنَاء عَلَى اللَّه تَعَالَى، وَمَدْحه بِأَنْ يُضَاف إِلَيْهِ مَحَاسِن الْأُمُور دُون مَسَاوِيهَا عَلَى جِهَة الْأَدَب. وَأَمَّا قَوْله: (وَالشَّرّ لَيْسَ إِلَيْك) فَمِمَّا يَجِب تَأْوِيله لِأَنَّ مَذْهَب أَهْل الْحَقّ أَنَّ كُلّ الْمُحْدَثَات فِعْل اللَّه تَعَالَى وَخَلْقه، سَوَاء خَيْرهَا وَشَرّهَا، وَحِينَئِذٍ يَجِب تَأْوِيله وَفِيهِ خَمْسَة أَقْوَال. أَحَدهَا: مَعْنَاهُ: لَا يُتَقَرَّب بِهِ إِلَيْك، قَالَهُ الْخَلِيل بْن أَحْمَد وَالنَّضْر بْن شُمَيْلٍ وَإِسْحَاق بْن رَاهْوَيْهِ وَيَحْيَى بْن مَعِين وَأَبُو بَكْر بْن خُزَيْمَةَ وَالْأَزْهَرِيّ وَغَيْرهمْ. وَالثَّانِي: حَكَاهُ الشَّيْخ أَبُو حَامِد عَنْ الْمُزَنِيِّ وَقَالَهُ غَيْره أَيْضًا مَعْنَاهُ: لَا يُضَاف إِلَيْك عَلَى اِنْفِرَاده، لَا يُقَال: يَا خَالِق الْقِرَدَة وَالْخَنَازِير، وَيَا رَبّ الشَّرّ وَنَحْو هَذَا، وَإِنْ كَانَ خَالِق كُلّ شَيْء وَرَبّ كُلّ شَيْء وَحِينَئِذٍ يَدْخُل الشَّرّ فِي الْعُمُوم. وَالثَّالِث: مَعْنَاهُ وَالشَّرّ لَا يَصْعَد إِلَيْك إِنَّمَا يَصْعَد الْكَلِم الطَّيِّب وَالْعَمَل الصَّالِح. وَالرَّابِع: مَعْنَاهُ وَالشَّرّ لَيْسَ شَرًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْك فَإِنَّك خَلَقْته بِحِكْمَةٍ بَالِغَة، وَإِنَّمَا هُوَ شَرٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ. وَالْخَامِس: حَكَاهُ الْخَطَّابِيُّ أَنَّهُ كَقَوْلِك فُلَان إِلَى بَنِي فُلَان إِذَا كَانَ عِدَاده فِيهِمْ أَوْ صَفُّوهُ إِلَيْهِمْ. [٤١].

٣- **الثناء** على الله تعالى بما هو أهله من قوله وأنت أرحم الراحمين. قوله: {وَأَنتَ أَرْحَمُ الراحمين} وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفاً في السؤال[٤٢]، فنبه على أنه تعالى أرحم الراحمين، ألا ترى إلى قوله: {ورحمتي وسعت كل شيء} وكان تعالى خير الغافرين؛ لأنّ غيره يتجاوز عن الذنب طلباً للثناء أو الثواب، أو دفعاً للصفة الخسيسة عن القلب، وهي صفة الحقد، والباري سبحانه وتعالى منزّه عن أن يكون غفرانه لشيء من ذلك[٤٣]، {وأنت أرحم الراحمين} أي: أكثرهم رحمة، وهذا تعريض منه بسؤال الرحمة إذ أثنى عليه بأنه الأرحم وسكت [٤٤].

هذا الدعاء تعانق فيه الشكوى والأدب والثناء، شكوى من العبد الضعيف إلى الرب القدير، وأدب وانكسار في حضرة الرب الكبير المتعال، وثناء جميل مع الاعتراف باستحقاق المنعم لذلك، لوسع رحمته وتجدد نعمه. فاستجاب الله تعالى دعاءه وتنزلت عليه الرحمة وتوالت عليه النعم.

قال تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} (٨٤) الأنبياء.

قال ابن مسعود : مات أولاده وهم سبعة من الذكور وسبعة من الإناث فلما عوفي نشروا له، وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات[٤٥].

ومن الأمثلة على كمال صبره وتمام رضائه بقضاء الله تعالى وقدره ذكر أن امرأته قالت له يوماً: لو دعوت الله فقال: كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال: أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي[٤٦].

جاء في ظلال القرآن:وقصة ابتلاء أيوب من أروع قصص الابتلاء. والنصوص القرآنية تشير إلى مجملها دون تفصيل. وهي في هذا الموضع تعرض دعاء أيوب واستجابة الله للدعاء. لأن السياق سياق رحمة الله بأنبيائه، ورعايته لهم في الابتلاء. سواء كان الابتلاء بتكذيب قومهم لهم وإيذائهم، كما في قصص إبراهيم ولوط ونوح. أو بالنعمة في قصة داود وسليمان. أو بالضر كما في حال أيوب، وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: {أني مسني الضر}.. ووصف ربه بصفته: {وأنت أرحم الراحمين}. ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبراً على بلائه، ولا يقترح شيئاً على ربه، تأدباً معه وتوقير، فهو نموذج للعبد الصابر لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من الضر الذي تضرب به الأمثال في جميع الأعصار. بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال، وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة، وكانت الرحمة، وكانت نهاية الابتلاء: {فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر، وآتيناه أهله ومثلهم معهم}، رفع عنه الضر في بدنه فإذا هو معافى صحيح. ورفع عنه الضر في أهله فعوضه عمن فقد منهم، ورزقه مثلهم. وقيل هم أبناؤه فوهب الله له مثليهم. أو أنه وهب له أبناء وأحفاداً[٤٧].

وقد ذكر في شأن قصة أيوب وبلائه وصبره الكثير، أغنانا عن إيرادها ما ذكره القاضي أبو بكر ابن العربي رضى الله عنه، حيث قال: و لم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين، الأولى قوله تعالى: {وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر} (٨٣) الأنبياء، والثانية في: (ص) {أني مسني الشيطان بنصب وعذاب}، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: (بينا أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب... الحديث)، وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، وأصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالا، ولا تزيد فؤادك إلا خبالا[٤٨].

والحديث الذي أشار إليه ابن العربي رواه البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ[٤٩].

وقد تنزلت الرحمة على أيوب وتوالت عليه النعم، قال تعالى:{رحمة من عندنا} فكل نعمة فهي رحمة من عند الله ومنة منه سبحانه على أصفيائه من خلقه، قال تعالى: {وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} أي: وجعلناه في ذلك قدوة، لئلا يظن أهل البلاء إنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك[٥٠].

{وذكرى للعابدين}، تذكرهم بالله وبلائه، ورحمته في البلاء وبعد البلاء. وإن في بلاء أيوب لمثلاً للبشرية كلها؛ وإن في صبر أيوب لعبرة للبشرية كلها. وإنه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة تتطلع إليه الأبصار، والإشارة {للعابدين} بمناسبة البلاء إشارة لها مغزاها. فالعابدون معرضون للابتلاء والبلاء. وتلك تكاليف العبادة وتكاليف العقيدة وتكاليف الإيمان، والأمر جد لا لعب، والعقيدة أمانة لا تسلم إلا للأمناء القادرين عليها، المستعدين لتكاليفها وليست كلمة تقولها الشفاه، ولا دعوى يدعيها من يشاء. ولا بد من الصبر ليجتاز العابدون البلاء[٥١].

وقصة ابتلاء نبي الله أيوب عليه السلام وصبره ومعافاته انتشر خبرها، حتى علمها العوام من الناس، ناهيك عن خواصهم، خبراً صادقاً وحقيقة واقعة ومثالاً حياً لا ينقضي بمضي وقته وزوال أثره بل يحتذي على مر الزمن يتلمسه ويقتدي به عباد الله الصالحين .

ومن نافلة القول أن نقول: إن الأنبياء هم أئمة العابدين، وإن إمام الأنبياء إمام العابدين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد نال من أنواع البلاء أعظمه، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: وَضَعَ رَجُلٌ يَدَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أُطِيقُ أَنْ أَضَعَ يَدِي عَلَيْكَ مِنْ شِدَّةِ حُمَّاكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ لَنَا الْبَلَاءُ كَمَا يُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ، إِنْ كَانَ النَّبِيُّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يُبْتَلَى بِالْقُمَّلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ، وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى يَأْخُذَ الْعَبَاءَةَ [فَيَحُوهَا[٥٢]] وَإِنْ كَانُوا لَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا تَفْرَحُونَ بِالرَّخَاءِ[٥٣].

والبلاء ليس مقتصراً على الأنبياء فحسب، وإنما للمؤمنين حظ فيه، ونصوص القرآن الكريم شاهدة بذلك، وفي السنة النبوية السلوى للمؤمنين مما يصيبهم من الابتلاء؛ إذ بينت أن كل ابتلاء ومصيبة يبتلى بها المسلم فهي كفارة له، لقوله عليه الصلاة والسلام: « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[٥٤]. وفي صحيح مسلم عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً[٥٥]. وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ[٥٦].

المبحث الثالث:

دعاء نبي الله ذي النون عليه السلام:

قال تعالى:{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)}، (٨٧-٨٨) الأنبياء. وقيل {مغاضباً} لقومه أغضبهم بمفارقته وتخوفهم حلول العذاب، وأغضبوه حين دعاهم إلى الله مدة فلم يجيبوه فأوعدهم بالعذاب، ثم خرج من بينهم على عادة الأنبياء عند نزول العذاب قبل أن يأذن الله له في الخروج [٥٧]. وقول من قال {مغاضباً} لربه وحكى في المغاضبة لربه كيفيات يجب اطّراحه إذ لا يناسب شيء منها منصب النبوة، وينبغي أن يتأول لمن قال ذلك من العلماء كالحسن والشعبي وابن جبير وغيرهم من التابعين، وابن مسعود من الصحابة بأن يكون معنى قولهم {مغاضباً} لربه أي لأجل ربه ودينه، واللام لام العلة لا اللام الموصلة للمفعول به[٥٨]. جاء في التفسير الكبير: (لا يجوز صرف المغاضبة الى الله لأن ذلك صفة من يجهل كون الله مالكا للأمر والنهي والجاهل بالله لا يكون مؤمناً فضلاً عن أن يكون نبياً ومغاضبته لقومه كانت غضباً لله ،وأنفة لدينه وبغضاً للكفر وأهله[٥٩]).اهـ. وقوله تعالى:{فظن أن لن نقدر عليه} أي نضيق عليه من القدر لا من القدرة، وقيل: من القدرة بمعنى {أن لن نقدّر عليه} الابتلاء [٦٠]. البلاء: الاختبار بالخير ليتبيَّن الشُّكر، وبالشَّر ليظْهر الصَّبْر، وقوله: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} قال ابن مسعود: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل[٦١].

من خصائص هذا الدعاء أنه اشتمل على ثلاثة عناصر إيمانية هامة هي؛ التوحيد، والتنزيه، والإقرار بظلم النفس.

١ – **التوحيد:** وذلك في قوله: {لا إله إلا أنت}، أي لا إله إلا الله، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله. وهي كلمة التوحيد، وهي العروة الوثقى، قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}، ولا إله إلا الله، هي كلمة التقوى، قال تعالى: {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (٢٦) الفتح.

وهذه الكلمة العظيمة تقتضي إخلاص العبادة لله وحده، ونفيها عما سواه، ولا تنفع قائلها حتى يتحقق فيه أمران:

١) قول لا إله إلا الله عن اعتقاد وعلم ويقين وتصديق ومحبة.

٢) الكفر بما يعبد من دون الله، فمن قال هذه الشهادة و لم يكفر بما يعبد من دون الله لم ينفعه هذا القول.

وقول: (لا اله إلا الله) مع تحقيق معناها هو أول واجب على كل شخص، قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (١٩) سورة محمد صلى الله عليه وسلم. ومن عظمة هذه الكلمة أنها آخر واجب، لأن الموت عليها سبب للسعادة الأبدية. وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٦٢]. ولذا فإن وجوب معرفة (لا إله إلا الله) أعظم الواجبات وأهمها، فالله تعالى هو الإله الذي تعبده القلوب محبة وإجلالا وتعظيما، وذلا وخضوعا وخوفاً وتوكلا عليه، ودعاءً له. وليس للقلوب أن تنعم بالسرور أو تتذوق طعم السعادة إلا بتحقيق معنى لا إله إلا الله؛ فإن السرور التام والحياة الطيبة والنعيم إنما هو في إفراد الله تعالى بالعبادة. فطوبى لمن قالها بصدق في حياته ويقين عند وفاته.

هذه الكلمة العظيمة المشرفة، فهي للسقم دواء، وللضعف قوى، بها تفتح القلوب المغلقة، وبذكرها تطمئن القلوب المؤمنة، ولها تنشرح الصدور، وترتاح النفوس، وتنجلي الكروب، وكان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم عند الكرب.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يقول عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ[٦٣].

وعَنْ مَالِك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ[٦٤]. فقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ)؛ يُرِيدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَكْثَرُ ثَوَابًا لِلدَّاعِي، وَأَقْرَبُ إلَى الْإِجَابَةِ، فَإِنَّ الْفَضْلَ لِلدَّاعِي إنَّمَا هُوَ فِي كَثْرَةِ الثَّوَابِ وَكَثْرَةِ الْإِجَابَةِ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَفْضَلُ مَا قُلْت أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)، يُرِيدُ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّهُ أَكْثَرُ ثَوَابًا مِنْ غَيْرِهِ مِنْ الْأَذْكَارِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ: أَنَّهُ أَفْضَلُ مَا دَعَا إلَيْهِ إلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ أَظْهَرُ؛ لِأَنَّهُ أَوْرَدَ ذَلِكَ فِي تَفْضِيلِ الْأَذْكَارِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَخُصَّ هَذَا الدُّعَاءَ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ مَا دَعَا بِهِ هُوَ وَالنَّبِيُّونَ قَبْلَهُ يَعْنِي أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَدْعُونَ بِأَفْضَلِ الدُّعَاءِ، وَيَهْدُونَ إلَيْهِ فَإِذَا كَانَ أَفْضَلُ دُعَائِهِمْ فَهُوَ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ[٦٥].

٢ – **التنزيه:** وذلك من قوله: (سبحانك)، التسبيح في اللغة: جاء في لسان العرب (سبح: السبح والسباحة: العوم، سبح بالنهر وفيه يسبح سبحاً وسباحة)، ثم قال (والتسبيح التنزيه)، وسبحان الله: معناها تنزيهاً لله من الصاحبة والولد، وقيل تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أن يوصف...، ثم قال: (وسبحان الله في اللغة تنزيه الله عز وجل عن السوء)[٦٦]. ومعناها في الشرع: (تنزهيه الله جل وعلا عن كل ما لا يليق بجلاله كماله ومعنى سبح نزه ربك جل وعلا عن كل ما لا يلق بكماله وجلاله [٦٧]، فقوله: سبحانك} أي: أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أن يُعجزك شيءٌ أو أن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي[٦٨]. وجاء في آية أخرى قوله تعالى: {فَلَوْلاَ أَنَّـــــهُ كَانَ مِنَ المسبحين (٤٣) لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(٤٤)} (٤٣-٤٤) الصافات. قوله من المسبحين أي: من الذاكرين

الله كثيراً بالتسبيح[٦٩]، وقيل من المصلّين فإنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كان كثيرَ الصَّلاةِ في الرَّخاءِ وفيه حثٌّ على إكثارِ الذِّكرِ وتعظيمٌ لشأنهِ ومن أقبل عليه في السَّراءِ أُخذ بيدِه عند الضَّرَّاء [٧٠]. قال الشوكاني: في الآية ترغيب في ذكر الله، وتنشيط للذاكرين له[٧١]).اهـــ. قوله{لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}: لصار بطن الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة[٧٢].

وقد جاء التسبيح مقترناً بالحمد كما في قوله تعالى:{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)} (٣) النصر. قوله: {بحمد ربك}، أي: في حال كونك متلبساً بحمد ربك، أي بالثناء عليه بجميع ما هو أهله من صفات الكمال والجلال[٧٣]. وسمعت الشيخ محمد على الطريفي يقول: (السبح هو المر السريع في الماء أو الهواء، ومن قال: (سبحان الله) كأنه سارع في تنزيه الله عن كل ما لا يليق به[٧٤].اهـــ.

ولما كان التسبيح تنزيه لله تعالي عن صفات النقص، والحمد إثبات لصفات المدح بالكمال والجلال لله تعالي، كان التسبيح المقرون بالحمد شأنه صلي الله عليه وسلم، فقد روي البخاري، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (ما صلى نبي صلي الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها: (سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)[٧٥].

وجاء في الصحيح أيضاً؛ عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان النبي صلي الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)، يتأول القرآن[٧٦]، ومعني (يتأول القرآن) أي: (يفعل ما أمره فيه)[٧٧]. وجاء في فتح الباري أيضا: (يحتمل أن يكون المراد بسبح نفس الحمد لما تضمنه الحمد من معني التسبيح الذي هو التنزيه لاقتضاء الحمد نسبه الأفعال المحمود عليها إلى الله سبحانه وتعالي فعلي هذا يكفي في إمتثال الأمر الاقتصار على الحمد ويحتمل ان يكون المراد فسبح متلبساً بالحمد فلا يمثل حتى يجمعها وهو الظاهر)[٧٨].اهـــ.

وقد لزم الرسول صلي الله عليه وسلم هذا التوجيه الرباني، أي: (التسبيح والحمد)، لأن في ذلك العلاج الشافي لكشف الهم والغم من القلوب، وانشراح الصدور، وزوال كل أسباب الضيق. قال الشوكاني رحمه الله: (فإنك إذا فعلت ذلك كشف الله همك واذهب غمك وشرح صدرك)[٧٩].اهـــ.

وكما اقترن التسبيح بالحمد فقد اقترن بصفة العلو، كقوله تعالي: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى} (١) الأعلى. واقترن بالتعظيم كقوله تعالي: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}(٧٤)، و(٩٦) الواقعة. واقترن بالعزة كقوله تعالي: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} (١٨) الصافات.

قال الحافظ ابن حجر: جاء في البرهان: (سبح لله) هذه كلمة استأثر الله بها ؛ فبدأ منها في بني إسرائيل لأنه الأصل؛ ثم بالماضي {سبح لله}، في الحديد والحشر والصف ؛ لأنه أسبق الزمانيين، ثم المستقبل في الجمعة والتغابن، ثم الأمر في سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها، وهي أربع: المصدر، والماضي، والمستقبل، والأمر المخاطب، فهذه أعجوبة وبرهان)[٨٠].اهـــ.

فأمر التسبيح عظيم، وسره عجيب، فالرعد يسبح، وكذا الملائكة، قال تعالي {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ} (١٣) الرعد. وكذلك الجبال قال تعالي: {يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ} (١٠) سبأ. ومعنى {أوبي}: سبحي[٨١]. بل إن جميع الخلائق تسبح لله تعالى بلسان الحال أو المقال، بكيفية لا يدرك كنهها إلا العليم الخبير. قال تعالي (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ * وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (٤٤) الإسراء.

٣- **الاعتراف** بظلم النفس، وذلك في قوله: {إني كنت من الظالمين}.

قوله: {إني كنت من الظالمين} أي: لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تأذن لي[٨٢].
قال أبو السعود في قوله: {إِنِّى كُنتُ مِنَ الظالمين}: لأنفسهم بتعريضها للهلكة، حيث بادرت إلى المهاجرة [٨٣].اهـــ. وعن الحسن: ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم؛ {فاستجبنا لَهُ ونجيناه مِنَ الغم} غم الزلة والوحشة والوحدة {وكذلك نُنجِي المؤمنين}[٨٤].اهـــ.

والاعتراف بظلم النفس استغفار ضمني ، فيه تذلل وخضوع واعتراف بالتقصير تجاه الرب العلي القدير، وهو ذكر العارفين ونزهة الواصلين وشعار ودثار الأنبياء والمرسلين وفيه تنزيه لرب العالمين عن الظلم وإضافته لنفسه ومثل ذلك ما كان من أبينا آدم عليه السلام عندما أكلا من الشجرة فكان من لطف الله ورحمته به أن ألهمه كلمات كانت مفتاح توبته، قال تعالى:{فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} سورة البقرة(٣٧)، وقد جاء تبين هذه الكلمات في قوله تعالى: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٢٣) الأعراف، وقد كانت هذه الكلمات هي المنقذة لآدم عليه السلام، وبمثلها قال موسى عليه السلام طلباً للمغفرة، قال تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (١٦) القصص، بل إن الاعتراف بظلم النفس من التعاليم الجليلة والتوجيهات النبيلة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحب وأخلص الناس إليه؛ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد جاء عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ[٨٥]).

من خلال هذه الدراسة لدعاء نبي الله يونس عليه السلام تجلت لنا عظمة هذا الدعاء وما اشتمل عليه من ألفاظ وضاءة ذات دلالات إيمانية بليغة غرسها التوحيد، قوامها التنزيه، وثمارها الاستغفار. جاء في سنن الترمذي، ومستدرك الحاكم؛ عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « دعاء ذي النون إذ دعا به وهو في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، إنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له»، هذا لفظ الحاكم، وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه »[٨٦].

وفي المستدرك أيضاً من حديث سعد رضي الله عنه، قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: « ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب، أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه؟ » فقيل له: بلى، فقال: « دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين »[٨٧].

وهذه البشرى النبوية المباركة حملتها آيات القرآن الكريم؛ قال تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} (٨٨) الأنبياء، وجاء تأكيد هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ} ١٠٣ يونس، وجاء في صفوة التفاسير: أي كما نجينا يونس من تلك المحنة ننجي المؤمنين من الشدائد والأهوال إذا استغاثوا بنا[٨٨].

المبحث الرابع:

دعاء نبي الله زكريا عليه السلام:

قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)} (٨٩-٩٠) الأنبياء.

من خصائص هذا الدعاء:

١ – اشتمل على إظهار الضعف والانكسار و التبري من قوة النفس وذلك في صورة الدعاء وكيفيته قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ} وفي موضع آخر بين كيفية هذا النداء قال تعالى: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} (٣) مريم.

قال ابن كثير: أي خفية من قومه [89].اهـــ. وجاء في التفسير الكبير: وهو يدل على أن أفضل الدعاء ما هذا حاله، ويؤكد قوله تعالى: {ادعوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} ٥٥ الأعراف، ولأن رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة وإخفاء الصوت مشعر بالضعف والانكسار وعمدة الدعاء الانكسار والتبري عن حول النفس وقوتها والاعتماد على فضل الله تعالى وإحسانه [90].اهـــ.

٢ – من خصائص هذا الدعاء؛ الحرص على الدين، لأنه الغاية العظمى من طلب الولد، ليرث النبوة والعلم والقيام بواجب استمرار الدعوة إلى دين الله تعالى دون انقطاع ،كما جاء في قوله تعالى:{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} ٨٩ الأنبياء.

ومعنى قوله: {لا تذرني فرداً}، أي: لا ولدَ لي ولا وارثَ يقوم بعدي في الناس[91]، أي وحيداً بلا ولد يرثني كما يشعر به التذييل بقوله تعالى: {وَأَنتَ خَيْرُ الوارثين} ولو كان المراد بلا ولد يصاحبني ويعاونني لقيل وأنت خير المعينين[92].

هذا النبي الكريم زكريا عليه السلام يحمل هم الدين والقيام بأمره بعد وفاته، لأن الأنبياء لا يورثون درهماً ولا ديناراً.

٣- من الخصائص التي يشتمل عليها هذا الدعاء النبوي؛ عظيم الثناء على الله تعالى، وذلك في قوله: {وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} أي خير من يبقى بعد كل من يموت[93].

فيه ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وهو خير الوارثين لأن كل من يرث يورث إلا الباري سبحانه فإنه يرث ولا يورث، وبهذا الدعاء العظيم وما فيه من تذلل لله تعالى وثناء عليه بما هو أهل له استمطر نبي الله زكريا عليه السلام رحمة الله فنال المقصود وظفر بالمطلوب، قال تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ} الأنبياء ٩٠.

قال ابن عادل: (قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان سنه مائة سنة، وسن زوجته تسعاً وتسعين"، {فاستجبنا لَهُ} أي: فعلنا ما أراده بسؤاله، {وَوَهَبْنَا لَهُ يحيى} ولداً صالحاً {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ} أي: جعلناها ولوداً بعد ما كانت عقيماً. قاله أكثر المفسرين وقيل: كانت سيئة الخلق سلطة اللسان فأصلح الله خلقها. وقيل: جعلها مصلحة في الدين، فإن صلاحها في الدين من أكبر أعوانه، لأنه يكون إعانة في الدين والدنيا واعلم أنَّ قوله {وَوَهَبْنَا لَهُ يحيى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ} يدل على أن الواو لا تفيد الترتيب، لأنَّ إصلاح الزوج مقدم على هبة الولد مع أنه تعالى أخره في اللفظ[94]).اهـــ.

وذكر في روح المعاني: وقدم هبة يحيى مع توقفها على إصلاح الزوج للولادة لأنها المطلوب الأعظم[95].

المبحث الخامس:

من شمائل الأنبياء عليهم السلام:

لقد قدمت لنا سورة الأنبياء عبر صفحاتها المشرقة وآياتها البينة أروع صور المناجاة في دعاء الأنبياء ووقوفهم بين يدي الله تعالى؛ يسألونه حاجاتهم، فاستجاب الله تعالى دعاءهم، وقضى الله تعالى لكل منهم حاجته، عاجلاً ليس آجلا وأثنى عليهم لحسن شمائلهم.

قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (٩٠) الأنبياء، ومن هذه الشمائل على سبيل المثال لا الحصر:

١- المسارعة في فعل الخيرات قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الخيرات}، ضمير الجمع في (إنهم) عائد على الأنبياء المذكورين في السورة، وقيل: الضمير يعود على {زكريا} و {زوجه} وابنهما يحيى[96].

وذكر أبو السعود أن في هذه الآية تعليل لما فصَّل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بالأنبياء المذكورين، أي كانوا يبادرون في وجوه الخيراتِ مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير، وهو السرُّ في إيثار كلمة (في) على كلمة (إلى) المُشعرة بخلاف المقصودِ من كونهم خارجين عن أصل الخيراتِ متوجهين إليها كما في قوله تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ}[٩٧].

وفي الآية ثناء على المبادرين في فعل الخير، وبيان شاف دال على أن المبادرة في فعل الخير سبب لقبول الدعاء، وفي السنة النبوية ما يؤكد هذا المعنى؛ فقد أخرج البخاري، عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمْ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ، فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ، فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ، فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي، كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ[٩٨].

والإسراع في عمل الخير من أجل الطاعات وأعظم القربات، وقد حض القرآن على فعل الخير والمبادرة إليه و تنوع الخطاب القرآني في ذلك، قال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (٢١) الحديد، وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (١٣٣) آل عمران، ذكر في أضواء البيان؛ أن الشرع واللغة، دلا على اقتضاء الأمر المجرد الوجوب، وذلك يدل على أن قوله: {سابقوا}، وقوله: {وسارعوا} يدل على وجوب المبادرة إلى امتثال أوامر الله فوراً[٩٩].

والمبادرة في فعل الخير على العموم تشمل فعل الطاعات، وترك المحرمات، ومن صور المبادرة في فعل الخير؛ أن يبادر العالم بتعليم الجاهل، ويبادر الحاكم بنشر العدل، وسبل العيش الكريم للرعية، وأسباب سعادتها، وأن يبادر الطبيب برسم البسمة على شفاه المرضى، بل من ذلك غرس شجرة يستظل بها المارة، أو إماطة الأذى عن طريقهم، وغير ذلك كثير، وفي الأمر متسع، وكتب السنة غنية بهذه التوجيهات المباركة التي ينبغي أن تحرك الوجدان، ويظهر أثرها في واقع الحياة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ[١٠٠].

وأما أصحاب المال ورجال الأعمال فهذا زمانهم، وميادين الخير كثيرة فسيحة تنتظر أياديهم البيضاء الممتدة بالعطاء، والأمة تنظر بأسىً بالغ وأكبادها تتقطع لما ترى وتسمع من أحوال اليتامى والأرامل والمشردين، والقائمة تطول بسبب تقلبات المناخ والحروب المفتعلة المنتشرة.

فأصحاب المال ورجال الأعمال من بني الأمة أقدر على ذلك، وأولى به من غيرهم، أي أولى من جهات تدس السم في الخبز.

أجد نفسي قد استرسلت ولكني أسطر عبر هذه الأسطر صرخة بل أؤذن لعل منهم من يلبي، ولهم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى، فعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً. قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِهِ مَنْ يَشَاءُ[١٠١].

٢- الخوف والرجاء: قال تعالى: {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}، الرَّغْبُ والرُّغْبُ والرَّغَبُ والرَّغْبَة والرَّغَبُوتُ والرُّغْبَى والرَّغْبَى والرَّغْبَاءُ؛ الضَّراعة والمسألة[١٠٢]. والرهب من: رهبت الشئ أرهبه رهبا ورهبة، أي: خفته[١٠٣].

فالأنبياء هم أعرف الناس بالله تعالى، عرفوا الله تعالى؛ فأحبوه ورغبوا فيما عنده، وعرفوا الله تعالى؛ فخافوه. عرفوا في ذات الله تعالى؛ صفات الرحمة والإحسان والعفو والمغفرة فأحبوه، وعرفوا في ذات الله تعالى؛ صفات القهر والانتقام والجبروت فوجلت قلوبهم فخافوه، فهم في حب وخوف ورغبة ورهبة فكان هذا حالهم على الدوام، وعند الدعاء والتجلي والمناجاة، والدعاء أشد وهذا سبيل استجابة الدعاء.

٣- الخشوع بين يدي الله تعالى، قال تعالى: {وَكَانُواْ لَنَا خاشعين} قال أبو السعود: أي مُخْبتين متضرعين، أو دائمي الوجَل، والمعنى أنهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافِهم بهذه الخصال الحميدة[١٠٤].اهـــ.

والخشوع هو الانكسار والتذلل بين يدي الله تعالى، وهو سر مهم من أسرار استجابة الدعاء، والخشوع لا يقتصر على الدعاء فحسب، بل يشمل جميع الأحوال في العبادات والمعاملات، كالصلاة، والكسب الحلال، وترك الحرام. ففي الصحيح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ[١٠٥].

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فبعون الله تعالى وتوفيقه تكتمل صفحات هذا البحث، بعد أن أسطر النتائج التي توصلت إليها وهي:

١- من نعم الله تعالى على هذه الأمة أن جعلها وارثة لتجارب الأنبياء السابقين؛ في العقيدة والعبادة والدعوة والدعاء والصبر وغيره، مما جعلها أمة قوية فتية عصية صابرة على البلاء متجددة الآمال عظيمة الرجاء.

٢- دعاء الأنبياء الذي ورد القرآن الكريم، وما صح من السنة النبوية المطهرة؛ مورث ضخم، ونبع عذب، ينهل منه كل وارد.

٣- المبادرة إلى فعل الخير توجيه رباني، ونهج إيماني، وسلوك إسلامي، وهو أقرب الطرق لقبول الدعاء.

التوصيات:

١- يقع على عاتق علماء الأمة بسط المعرفة بالدعاء وأساليبه، وعظمة قدره، فكثير من بني الأمة يجهلون الدعاء، يجهلون لفظه ومعناه وأسلوبه، بل منهم من يتوجه بالدعاء إلى غير الله تعالى، لذا فإن كثيراً من الدعاء يخالف الصواب فلا يستجاب.

٢- على وسائل الإعلام والقائمين بأمرها أن يتحملوا مسؤوليتهم تجاه الأمة، وذلك بالتوعية بالدعاء وبيان أهميته وفضله، وحض بني الأمة وإحياء روح المبادرة إلى فعل الخير، حتى يكون فعل الخير والدعاء منهج وسلوك وجوهر حياة، ومظهر حضاري رفيع ورشيد.

٣- على قادة الأمة وأصحاب المال أن يتضرعوا بالدعاء والانكسار بين يدي الرب، ويبادروا إلى الخير والعطاء رفقاً بالخلق.

هوامش البحث:

١ – ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١ (٢٤/٧).

٢ – الزبيدي؛ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بالمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٤٤٣٤/١).

٣ – الفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي أبو العباس المقري، المصباح المنير، (٢٢٥/٣).

٤ – الجوهري؛ إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٣ (٢٠٧/١).

٥ – الترمذي؛ محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمذي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر، آخرون بدون طبعة بدون تاريخ) حديث رقم (٢٨٩٥)، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وانظر أيضاً السجستاني؛ أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق وتعليق عبيد الدعاس، وعادل السيد (دار ابن حزم بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، حديث رقم (١٢٦)، (٢٧٨/٤). أما ما رواه الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء مخ العبادة" فضعيف، انظر مشكاة المصابيح (٣/٢) حديث رقم (٢٢٣١).

٦ – ابن حجر؛ الحافظ أحمد بن على حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مع تعليقات الشيخ ابن باز، دار الفكر، بيروت، (١٤١٦هـ)، (٥٥/١٨).

٧ – االرازي؛ فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) (١١٤/٣).

٨– البخاري؛ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، تقديم الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الجيل– بيروت، كتاب التفسير، المجلد الثاني (ج١٢١/٦).

٩– ابن الجزري؛ أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، ٣٨٩/٢، باب العين مع التاء، عدد الأجزاء: ٥.

١٠– ابن الجزري؛ مصدر سابق (٥٢٦/١).

١١– القشيري؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، (دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١ (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، باب: ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، حديث رقم (٢٢٨٧)، (١٧٩١/٤).

١٢– ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، (٣٥١/٥)..

١٣– القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، (٣٠٣/١١).

١٤– الألباني؛ محمد ناصر الدين، السلسلة الضعيفة، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، (٧٤/١١).

١٥– البخاري؛ مصدر سابق، باب علامات النبوة، المجلد الثاني (ج٢٤٦/٤)، والقشيري؛ مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، باب: في حديث الهجرة، حديث رقم (٢٠٠٩)، (٢٣٠٩/٤).

١٦– البخاري؛ مصدر سابق، كتاب: التفسير، سورة براءة، المجلد الثاني (ج٨٣/٦).

١٧– ابن حجر؛ مصدر سابق، حديث رقم (٣٣٨٠)، (٤٤٩/١٠).

١٨– ابن حجر؛ مصدر سابق، حديث رقم (٣٣٨٠)، (٤٤٩/١٠).

١٩– البخاري؛ مصدر سابق، المجلد الثاني (ج٤٩/٦).

٢٠ – ابن حجر؛ مصدر سابق، حديث رقم (٣١١١)، (١٤٤/١٠).

٢١– البخاري؛ مصدر سابق، كتاب: التفسير، آل عمران، المجلد الثاني (ج٤٨/٦).

٢٢– التميمي؛ محمد بن عبد الوهاب النجدي، القول السديد شرح كتاب التوحيد، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط٢ (١٤٢١هـ)، (١٢٢/١).

٢٣– النسفي؛ عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل، دار النفائس، بدون طبعة وبدون تاريخ، (٣٣١/٢)، وانظر الزمخشري؛ أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، جار الله الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١ (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، (٢٤٣/١٤).

٢٤ – آل الشيخ؛ صالح بن عبد العزيز بن محمد، التمهيد لشرح كتاب التوحيد، دار التوحيد، ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، (٣٦/٢).

٢٥– القرطبي؛ مصدر سابق، (٣٠٤/١١).

٢٦– المحلي؛ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط١ (٥١/٦).

٢٧– قطب؛ سيد، في ظلال القرآن، (١٦٣/٥).

٢٨– آل الشيخ؛ مصدر سابق، (٣٦/٢).

٢٩– المناوي؛ عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية، مصر ط١، ١٣٥٦هـ، (٥٠٨/٣).

٣٠– الأصبحي؛ مالك بن أنس بن مالك، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، باب: النهي عن القول بالقدر، حديث رقم (١٣٩٥)، (٣٧١/٥).

٣١ – ابن حنبل؛ أحمد بن محمد الشيباني، المسند، مؤسسة قرطبة، مسند عبد الله بن مسعود حديث رقم (٣٤٥٢)، (٤٧٨/٧).

٣٢ – القشيري، مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وبكائه شفقة عليهم، حديث رقم (٢٠٢)، (١/ ١٩١).

٣٣ – النووى؛ أبو زكريا يحيى بن شرف المري، شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتاب العربي بيروت، طبعة (١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧م)، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٣٠١)، (٣٤٨/١).

٣٤– البخاري، مصدر سابق، كتاب: بدء الخلق، باب: قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا، المجلد الثاني، (ج١٧١/٤).

٣٥– القشيري؛ مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، باب استحباب قتل الوزغ، حديث رقم (٢٢٣٨)، (١٧٥٨/٤).

٣٦– ابن حنبل؛ مصدر سابق، حديث رقم (٢٣٦٣٦)، (٢٩٢/٥).

٣٧– القرطبي؛ مصدر سابق، (٨٨/١٠)، وانظر الباجي؛ أبو الوليد سليمان بن خلف، المنتقى شرح الموطأ،، باب ما جاء في لبس الخاتم، حديث رقم (١٤٦٨)، (٣٥٠/٤).

٣٨– القرطبي؛ مصدر سابق، (٣٢٥/١١).

٣٩– المباركفوري؛ صفي الرحمن، الرحيق المختوم، الجامعة السلفية الهند، تصوير: دار الكتب العلمية بيروت (ص١٢٤)، وانظر السهيلي؛ عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، الروض الأنف، دار المعرفة، بيروت (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، (٢٣١/٢).

٤٠ القشيري؛ صحيح مسلم؛ مصدر سابق، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (٧٧١)، (٥٣٤/١)، والسجستاني، سنن أبي داود، مصدر سابق، حديث رقم (٦٤٩)، (٤١٧/٢)، والترمذي، مصدر سابق، حديث رقم (٣٣٤٤).

٤١– النووي؛ مصدر سابق، (١٢١/٣).

٤٢– البيضاوي؛ ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، (٢١٥/٤).

٤٣ – أبوحيان؛ محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر بيروت، (١٤٢١هـ/١٩٩٢م، (٤٦٤/٥).

٤٤ – ابن الجوزي؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ (١٤٠٤هـ)، (٣٥٤/٤).

٤٥– القرطبي؛ مصدر سابق، (٣٢٥/١١).

٤٦– البيضاوي؛ مصدر سابق (٢١٥/٤).

٤٧ – قطب؛ سيد، مصدر سابق (١٦٨/٥).

٤٨– القرطبي؛ مصدر سابق (٢١٠/١٥).

٤٩– البخاري؛ مصدر سابق، كتاب الغسل، باب: من اغتسل عريانا، المجلد الأول (ج٧٨/١).

٥٠ – ابن كثير؛ مصدر سابق (٣٦٣/٥).

٥١– قطب؛ مصدر سابق (١٦٨/٥).

٥٢– في المطبوع من المسند (فيخوفها)، والتصويب من المناوي، مصدر سابق، ففيه (فيجوفها)، وضبطها المناوي فقال: بجيم وواو فموحدة: أي يخرقها ويقطعها، وكل شئ قطع وسطه فهو مجوب، (٦٦٤/١)، وعنه صوبها الساعاتي؛ أحمد عبد الرحمن البنا وأشار الساعاتي إلى أن لفظ (يخوفها) تحريف مطبعي في المسند، وانظر الفتح الرباني، وبأسفله بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٢٨/١٩).

٥٣– ابن حنبل؛ مصدر سابق (٢٤/٣)، وانظر الألباني، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، (٧٥/٥).

٥٤– البخاري؛ مصدر سابق، كتاب الطب، باب: ما جاء في كفارة المرض، المجلد الثالث (ج١٤٩/٧)

٥٥– القشيري؛ مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حديث رقم (٤٧/٢٥٧٢)، (١٩٩١/٤).

٥٦– القشيري؛ مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، نفس الباب السابق، حديث رقم (٢٥٧٣)، (١٩٩٢/٤).

٥٧– أبو حيان؛ مصدر سابق، (١٨٣/٨).

٥٨– أبو حيان؛ مصدر سابق، (١٨٤/٨).

٥٩– الرازي؛ مصدر سابق، (٢١٤/٢٢).

٦٠ – أبو حيان؛ مصدر سابق (١٨٤/٨).

٦١ – ابن كثير؛ مصدر سابق (٣٦٧/٥).

٦٢– القشيري؛ مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، حديث رقم (٢٦)، (٥٥/١).

٦٣– البخاري؛ مصدر سابق، كتاب الدعوات، باب: الدعاء عند الكرب، المجلد الثالث (ج٩٣/٨).

٦٤– الأصبحي؛ مالك بن أنس، مصدر سابق باب ما جاء في الدعاء.حديث رقم ٤٤٩ (١٥٠/٢).

٦٥ – الباجي؛ أبو الوليد، مصدر سابق حديث رقم (٨٤١)، (٩/٣).

٦٦ – ابن منظور؛ مصدر سابق، (٤٧٠/٢)، باب السين.

٦٧– الشنقيطي؛ محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، طبعة (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) (١٨٣/٣)..

٦٨ – أبو السعود؛ محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٤٣٣/٤).

٦٩ – النسفي؛ عبد الله بن أحمد، مدارك التنـــزيل (٢٠١/٣)١.

٧٠ – أبو السعود؛ مصدر سابق (٤٥٤/٤).

٧١ – الشوكاني؛ محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، (٥٠٤/٤).

٧٢ – تفسير البغوي ٦٠/٧.

٧٣– الشنقيطي؛ مصدر سابق (١٨٣/٣). درس الشيخ بمسجد الحارة الثالثة بمدينة الثورة بأم درمان.

٧٤- درس الشيخ بمسجد الحارة الثالثة بمدينة الثورة بأم درمان – (السودان)، في أواخر العقد الأخير من القرن الميلادي الماضي.

٧٥- البخاري؛ مصدر سابق، كتاب التفسير، سورة النصر، المجلد الثاني (ج٦/٢٢٠).

٧٦- البخاري؛ مصدر سابق، كتاب التفسير، سورة النصر، المجلد الثاني (ج٦/٢٢٠).

٧٧- ابن حجر؛ مصدر سابق (٢/٥٦٠).

٧٨- ابن حجر؛ مصدر سابق (٢/٥٦٠).

٧٩- الشوكاني؛ مصدر سابق (١٧٩/٣).

٨٠- ابن حجر؛ مصدر سابق (٢/٥٦٠).

٨١- ابن منظور؛ مصدر سابق (١٤٤/٦).

٨٢ – النسفي؛ مصدر سابق (٣٣٧/٣).

٨٣- أبو السعود؛ مصدر سابق (٤٣٣/٤).

٨٤ – النسفي؛ مصدر سابق (٣٣٧/٣).

٨٥- البخاري؛ مصدر سابق، كتاب الدعوات، باب: الدعاء في الصلاة، المجلد الثالث (ج٨/٨٩).

٨٦- الترمذي؛ مصدر سابق حديث رقم (٣٤٢٧)، والحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، حديث رقم (٣٤٠١).

٨٧- الحاكم؛ مصدر سابق حديث رقم (١٨١٨)، وانظر الألباني؛ صحيح الجامع الصغير، حديث رقم: (٢٦٠٥) (٣١٧/١٠).

٨٨- الصابوني؛ الشيخ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤ (١٤٠٢ هـ/١٩٨١ م). (٢٧٣/٢).

٨٩ – ابن كثير؛ مصدر سابق (٣٧٠/٥).

٩٠ – الرازي؛ مصدر سابق (٢٧٩/١٠).

٩١- ابن كثير ؛ مصدر سابق (٣٧٠/٥).

٩٢- الألوسي؛ أبو الفضل محمود بن عبد الله الحسيني البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر - بيروت، تصحيح محمد حسين العرب، (٤٥٧/١٢).

٩٣- القرطبي؛ مصدر سابق (٣٣٦/١١).

٩٤- ابن عادل؛ أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخين عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، (٣٤٨/١١).

٩٥- الألوسي؛ مصدر سابق، (٤٥٨/١٢).

٩٦- أبو حيان؛ مصدر سابق، (١٨٣/٨).

٩٧- أبو السعود؛ مصدر سابق، (٤٣٤/٤).

٩٨- البخاري؛ مصدر سابق، كتاب البيوع، باب: إذا اشترى شيئا لغيره، المجلد الأول (ج٣/١٠٤).

٩٩- الشنقيطي؛ مصدر سابق، (٣٩٢/٤).

١٠٠- القشيري؛ مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، حديث رقم (٥٨/٣٥)، (٦٣/١).

١٠١- القشيري؛ مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة، حديث رقم (٥٩٥)، (٤١٦/١).

١٠٢- ابن منظور؛ مصدر سابق، (٤٢٢/١)، (رغب).

١٠٣- ابن منظور؛ مصدر سابق، (٤٧/٤)، (رهب).

١٠٤- أبو السعود؛ مصدر سابق (٤٣٤/٤).

١٠٥- القشيري؛ مسلم بن الحجاج، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم (١٠١٥)، (٧٠٣/٢).